الذى فعلم من تدبير الابدان الضعيفة يعنى التى صحتها فى الغاية وقد ابتدات تحسين الغاية تسمى
علم التقديم بالحفظ والجزء الذى يتعلم فيه تدبير الابدان التى صحتها فى الغاية وليست بحيث يلزم
منها شئ ولا هى فى طريق ان تتغير باسم حفظ الصحة واطلاق اسم حفظ الصحة على هذا بطريق الحقيقة
واطلاقه على مجموع الاجزاء الثلثة انما هو على سبيل التجوز وان كان قد صار حقيقة بحسب اصطلاح
الاطباء والقياس سمى المجموع به بعلم حفظ الصحة لان المقصود منه هو ذلك وقد اورد على تقسيم الشيخ الجزء العملى
من الطب الجزئين اشكال وهو كان ينبغى ان يكون اجزاؤه ثلثة وذلك لان احوال بدن الانسان
ثلثة الصحة والمرض وحالة متوسطة والحالة من هذا تدبير نضجها فيكون اصناف العمل ثلثة والجواب
عن هذا بان الشيخ سوق الحالة المتوسطة فلذلك يكون التدبير عنده بحسب حال البدن فقط هما الصحة
والمرض وهذا الجواب ليس بمرضى عندى ولا يعجبنى فانه لو كان كذلك لكان القائلون بالحالة الوسطى
يقسمون الجزء العملى الى ثلثة وليس كذلك لانهم يقسمون الى اثنين ايضا بل انما كان كذلك لان الابدان التى
فى الحالة الوسطى ما كان منها كذلك لانه اجتمع فيه الصحة والمرض لكن يصح عضوا ويمرض شيئا وان كان
فى اطلاق الصحيح والمريض عليه تجوز كان العلم بتدبير صحته داخلا فى علم حفظ الصحة والعلم بتدبير
مرضه داخلا فى علم العلاج وما كان منها كذلك لانه اضعف كون الصحة فى الغاية والمرض والغاية فان العلم
بتدبيره يكون داخلا فى علم تدبير الابدان الضعيفة فلذلك كان الجزء العملى من الطب مقسوما
الى قسمين على انه لو قسم باكثر من ذلك لم يكن ذلك خروجا عن الواجب خروجا فاحشا ويمكن ان يقرر
العمل من الطب ينقسم قسمين تدبير حفظ الصحة والثانى فى تدبير الزوال عنها لكن الجواب الاول انسب
بكلام الشيخ ونحن سنذكر فى هذا الفن من جملة من الكلام فى حفظ الصحة انما قدم الكلام فى
حفظ الصحة على مداواة الامراض لوجوه خمسة احدها ان المقصود من الطب على ما عرف حفظ الصحة
وما عدا هذا فلاجل ذلك فلذلك قدم ما هو مطلوب بالذات على ما هو مطلوب لاجل الغير
وثانيها ان الصحة اشرف من المرض وتقديم تدبير الاشرف على تدبير الاخس ان لم يكن واجبا فهو
اولى وانما قلنا ان الصحة اشرف لانها يتم باعتدال المزاج وغيره والمرض يتم بالخروج عن ذلك وثالثها
ان بالصحة يحصل السعادة الدنيوية والاخروية والمرض مانع عن ذلك اما الاولى فلان بالصحة
يحصل العلوم والقيام بفرائض الشرائع الالهية وتقديم تدبير ما يحصل ذلك على تدبير ما يمنع من ذلك
واجب واما الثانى فظاهر ورابعها ان وجود الصحة اكثر فان الانسان يجرى على الصحة واما المرض فطارئ قليل
الوجود وتقديم تدبير الاكثر على الاقل واجب وخامسها ان حفظ الصحة اسهل من مداواة المرض
وتقديم الاسهل على الاصعب واجب وانما قلنا ذلك لوجهين احدهما ان حفظ الموجود واستمداده
اسهل من تحصيل الزائل واسترداده وثانيهما الاحتياج فى الحفظ الا الى سبب واحد واما فى مداواة

المرض



المرض فانه يحتاج الى تحصيل اسباب وما هو موقوف على سبب اسهل مما هو موقوف على اسباب متعددة
وفى كل واحد من الوجهين وقد ذكر المسيحى فى كتابه المسمى بالمائة وجها اخر وهو ان الصحة فى الحال
موجود وفى المرض مفقودة وتقديم ما به تدبير الشئ الموجود على ما به يطلب الشئ المفقود واجب
وهو مغلوب لان للمعترض ان يقول ان المرض فى المريض موجود وفى الاصحاء مفقود وتقدم ما هو به الشئ
الموجود على ما يطلب الشئ المفقود واجب ويمكن ان يقرر بحيث لا ينقلب فيجب ان يعلم مع ما ذكر
ان حفظ الصحة الثانى الا لمن اجتمعت فيه خمس خصال احدها ان يكون عارفا بقوانين الطب يعلم
النافع فيستعمله والضار فيجتنبه وثانيها ان يكون ذا يسار ليمكنه ان يستعمل ما يجب استعماله
من الاغذية الشريفة وغيرهما وثالثها ان يكون ذا فراغ ليمكنه استعمال ما يجب استعماله فى
وقته ورابعها ان يكون بخيلا وضنينا على نفسه لئلا يسمح باستعمال ما يجب استعماله وخامسها ان
يكون شرها بل يكون ضابطا لنفسه ليمكنه ترك ما يجب تركه واستعمال ما يجب استعماله وقلما يجتمع
هذه الخصال فى شخص واحد فلذلك قل من يحفظ صحته على ما يجب ولهذا كان الموت الطبيعى نادرا
مما يجب ان يعلم ايضا ان جمهور الاطباء اتفقوا على قاعدتين احديهما ان حفظ الصحة بالمثل وثانيهما
ان مداواة المريض بالضد قالوا وذلك لان حفظ الشئ ببقائه على حاله وبقاء الشئ على حاله
يكون بان يورد ما يشابهه ويشاكله واما المريض فهو ذو زوال عن الامر الطبيعى وعوده الى الحالة
الطبيعى يورد ما يقابله فى الجانب الاخر ولذلك قالا لا وجد القراط فى ناسة الفصول ما كان
من الامراض يحدث من الامتلاء فشفاؤه بالاستفراغ وما كان منها يحدث من الاستفراغ
فشفاؤه يكون بالامتلاء وشفاء سائر الامراض يكون بالمضادة وقد شبه القدماء الصحيح بالشئ
المستقيم الذى استقامته انما سوى عليه بان لا يمال به الى جهة والمريض بالشئ المستقيم عند ميله
الى جهة فان رجوعه الى استقامته يكون بميله الى الجانب المقابل لاعوجاجه قال ابن ابى صادق ولان
حفظ الشئ يتم بان يورد عليه ما يشاكله اذ الشبيه لانه يناسب شبيهه لا ينافيه بل يحفظه كما
على حاله وان التيه يتم بان يورد عليه ما يضاده الى الضد لانه ينافى ضده ويزاحمه ويصرفه عن محله للتحلل
فيه لم صار حفظ الصحة بالمضاد باشياء المشاكلة للحال التى هى عليها وعلاج المرضى بالاشياء
المتضادة لامراضهم فان الصحة امر طبيعى فهو معتدل لان الصحة امر معتدل وكل معتدل يحفظ
بما يناسبه ويشبهه من الاعتدال والمرض امر خارج من الطبيعى وكل امر خارج عن الطبيعى فهو
غير معتدل فكل ما هو غير معتدل فانما يرجع الى الاعتدال بشئ اخر خارج عن الاعتدال الى الطرف
الاخر لرده لمضادته له الى اعتداله فاذن يحفظ بالمثل والمرض يداوى بالضد ولعل كل واحد
من هاتين القضيتين تليه سهم لا غير محتاجة فى بيانها الى برهان بصحتها هذا كله وبالله

اوبدهن السوسن اوبدهن الحنا اوبدهن الحمري فان كل واحد منها يفعل التحليل المذكور
ويزيل السبح العارض لهم من قبل البلغم ويجب ايضا ان تلين طبيعتهم بحسب ما يقتضي الحال
يجعل غذاءهم الفراريج السارجة فان لم يقدر على احد المرقه فيسخن هذا المرضعة ويحفف
بلطف وربما عرض كزاز وقد عرفت انه امتداد واقع في العضل مانع من الحركة على المجرى الطبيعي
وان الفرق بينه وبين السبح انه سبح مضاعف فعالج لما قد طبخ فيه نبا الحار حتى يحلل
الى الوضع الطبيعي او بدهن البنفسج مع دهن قثاء الحمار وذلك اذا كانت المادة الفاعلة للكزاز
في العضل دون ذلك فان حدث ان السبح العارض له من يبس لو وقوعه عقيب الحميات المحللة
للمواد فيستولى اليبس فيحصل التشنج والاسهال العنيف لاجابه السن والتشنج ويحدونه قليلا
قليلا لان الرطوبة التي في خلل الاعصاب تتحلل اولا فاولا ويحدث اليبوسة قليلا قليلا واما
السبح الرطب الامتلاوى فيحدث دفعة بانصباب الرطوبات الى العضلات دفعة عرفت مفاصله
بدهن البنفسج وحده او مضروبا بشيء من الشمع المصفى ان احتيج الى ان يكون اقوى في التلطيف
لبقائه على البدن بسبب الشمع اكثر مما اذا كان وحده وصب على دماغهم دسب ودهن بنفسج
وغير ذلك من الادهان المرطبة صبا كثيرا حتى يرطب اصل الاعصاب المسخنة ويزداد نو لطيبه
بسبب كثرة الصب عليه فيغذى تقلبه الى الاعصاب ونزول التشنج وكذا اى ترطب بفرق
المفاصل والصب على الدماغ بما ذكر وان عرض لهم كزاز ما لين لكن يجب ان يعلم ان عروض
الكزاز اليابس لهم نادر جدا وذلك لكثرة الرطوبات في ابدانهم وقوة القوى الطبيعية فلذلك
يكون اكثر حدوثه من امتلاء ابدانهم واعصابهم وقد يعرض لهم سعال وزكام واكثر ذلك
يكون في الصفوله وسبب كثرة برادتهم بسبب كثرة رطوبات ادمغتهم ولضربها بالبرد
الخارجي بعد اعسا وحرارة الرحم فيحتبس المواد فيها ويحدر واما الى جهة الريه والانف وعلى
الاول يوجب السعال وعلى الثاني الزكام فان كان ذلك مع الزكام فطالب بسببه النزلة ولذلك
يعالج بصب الماء الحار على الراس حتى يزول البرد الذي اصاب راسه ويحلل المواد المحتبسة
على ما قاله وقد امر بذلك بماء حار كثير يصب على راس من اصيب بذلك منهم صبا متواليا
داخل الحمام ويوقى من البرد بعد خروجه ويدثر راسه لاسيما متى كان الوقت شتاء واما
القئ للسعال على ما قاله ويلطخ لسانه اى لسان من اصيب بالسعال منهم بعسل كثير ثم
يغمز على لسانه بالاصبع ليقذف بلغما كثيرا فيعافى فذلك اكثره اذا كانت بسبب النزلة لانه ينقى
المعدة من البلغم فيمنع بان يصعد الى الدماغ من الرطوبات بالسخن ولانه يحركه يسخن الالات
والات الحلق فيتحلل المواد الحاصلة فيها واما ان لم يكن السعال مع الزكام فقد يكون سببه



حاما الات الحلق فيكون علاجه مثل الدواء المتخذ مما ذكر على ما قاله ان يؤخذ صمغ عربي وكثيرا
وحب السفرجل ورب السوس وماسد تدق وتسحق وتحل ويسقى منه كل يوم شيء اى
من هذا المركب بلبن حلبت وينبغي ان يكون ذلك هو لبن المرضع لكونه اوفق له على ما علمت
وقد يحمل منه لعوق وذلك بان تسحق الادوية المحلولة سحاقا تاما ويعقد بحلاوة من السكر او
السكر التقى الساذج ويلعق فان كان البلغم متوفرا ايضاف الى ذلك يسير حلبة مسحوقة سحقا ناعما
تاما جدا ويمنع المرضعة من اخذ الادوية المولدة للبلغم ويلازم الحمام مع ذلك ويدثر جدا
بعد خروجه من الحمام ويجب ان يكون الحمام معتدلا بين الحرارة والبرودة لئلا يحيد مزاجه
وقد يعرض للطفل سوء خلق نفسي وذلك اذا نزل البلغم الى صدره واكثر ذلك يكون لضعف
الصدر منهم فيحتاج ان يدهن اصول اذنيه وبما اللوزتان واصل لسانه بالزيت فمعنى
بسببه وبعصابا يغمز عليها كما سبق وكذا يلمس لسانه اى الغمز مع الدهن المذكور فهو
نافع جدا اى في العطسه والسعال ويقطر الماء الحار في افواههم فانه يعني يسقى ما هو سبب
سوء النفس اما بالقئ او بالتحليل وان يلعقوا شيئا من بزر الكتان بالعسل ليقطع البلغم اللزج
ويخرجه وقد يعرض لهم القلاع كثيرا وقد عرفت انه قروح معا يعرض في غشاء الفم واللسان
فما كان منها عقيب حصول باسم الاكال وما لا يكون كذلك محض القلاع فان غشاء افواههم والسنتهم
لين جدا لا يحتمل الملمس وفي بعض النسخ اللمس المس لنا وهذا اولى فكيف حال ما يمسه
اللين فان ذلك يورثهم القلاع وذلك لان اللبن فيه حدة قوية فعند مروره بسطح الفم
يحلو سطحه ويبلغ من حدته ان يحرد شيئا منه ويوقع في القروح المذكورة واعلم ان امراض
سطح واللسان رديئة عسيرة البرء وذلك بخمسة اوجه احدها اللين جلدته وقبولها للتاكل
وثانيها لكثرة اللعاب هناك فانها يمنع ما يعرض فيه من القروح من سرعة الالتحام وثالثها
لدوام حركة الفم واللسان المانعة من سرعة الالتحام قروحها ورابعها الورود ما يدخل الجوف
دائما من الاجسام الغذائية بما الحشو بها الجرح ويمنعه من سرعة الالتحام وخامسها القصر
زمان ملاقاة الادوية لها ولينها بنيه وذلك لانه يجري فيه رطوبات كثيرة تدهادوه معين
يغيرها ويضعف قوتها واردو القلاع الحمى وفي بعض النسخ الحمي وهو خطا الاسود لدلالته على
شدة الاحراق وكثرة السوداء وهو قاتل بسبب بعد عن مزاجهم فيمتنع العلاج بسبب ذلك
فينبغي ان يعالجوا بما حسب من ادوية القلاع المذكورة في الكتاب الجزوي وذلك لضعف
سببه فلا يعم الموجب ضعيف الدواء وحصه قال المسيحي يعالج بما خف من ادوية القلاع هو
الابيض فقط واما الاسود فينبغي ان يعالج بما فيه قوة حتى اذا ما حطنا في دوده تسكل فقد

فهوا جود بالحار والعقل فيه لوجهين احدهما من جهة مضادية للهوا الخارجي ومقاومته
له في تحليله وثانيهما الملازم المعدة وضعف شهوة الطعام التي ضعيفة في الصيف بالطبع
ولما ذكر ان الغذا المستعمل في زمان الشتا حار بالفعل وفي زمان الصيف بارد به اشترط
فيه ان لا يبلغ ذلك الى حد لا يطاق وذلك لان ما كان من ذلك باردا جدا اجمد الحرارة
واضر بالاعضا العصبية ولذلك المشروب الذي بهذه الصفة كما قد يخشى بكثير من الناس
اما المبلوح الفوكاع البرد جدا وما كان من ذلك حارا احد المدح انتفعوا حرقيها وكذا يفعل
المرى والحلق وقد حكى القرشي ان الملك الكامل بمصر والده الملك العادل رحمهم قد ابلغ لقرة
الحرارة لاستحسانه من الاطعمة حين اللعب بخين وصلت الى فم معدته غشي عليه في الحال ولم
سبب غشيه حتى افاق هنا واعلم ان نكاية الطعام البالغ في البرودة اعظم من نكاية الطعام البالغ
في الحرارة لان البالغ في الحرارة لا يكون بعيدا جدا عن كيفية البدن بخلاف البارد ونكاية الشراب
البالغ في البرودة او في الحرارة اعظم من نكاية الغذا الذي هو كذلك لان الشراب للطافته لا
يتاخر عن النفوذ الى الاعضاء الرئيسة الى ان ينكسر كيفية بخلاف الغذا والخبز الحار يطفي
في المعدة ويعطش واما الادوية فما كان منها مستعملا لتبديل المزاج فالاولى ان يكون على
كيفية مضادة للكيفية المرض ففي الامراض الباردة تستعمل حارا وبارا بحسب الفصل وفي
الامراض الحارة يستعمل باردا الا ان يكون عضو المرض باردا في الاصل كالاعضا العصبية ففي
مثلها لا يستعمل ادويتها الا حارة او فاترة وان كان المراد باستعماله التسهيل وذلك كالادوية
المستعملة في اوجاع اللثة واوجاع الاذن وما كان منها استعماله لاجل الاستفراغ فان
كان استفراغها بالعصير لم يجز استعمالها الا باردة وذلك كشراب الورد وما لا يكون كذلك
فالاولى استعمالها فاترة او حارة فحسب وخصوصا في الامراض الغليظة المادة البلغمية
الرابع في بيان ضرر الامتلا قال ادم لا شي اردا من شبع في الخصب يعقبه جوع في الجدب وبالعكس
وذلك لان ثبات الصحة هو [illegible] وامها انما تتم بالاعتدال وكل افراط مضر بالبدن ومنافي للصحة
لان كل كثيرة او للطبيعة ولذلك قال الاوحد افراط في ثاسة الفصول الا الشبع ولا الجوع ولا غيرها
من جميع الاشياء المحمودة وكان مجاوز المقدار الطبيعي يريد ما يسع الامتلاء ومن الطعام وبالجوع
زيادة الشهوة وافراط كل واحد من ذلك انما يكون لافراط [illegible] فافراط الشبع لافراط الاعتدال او
حرارة المعدة او ضعف حس فيها او ضعف [illegible] الكبد وافراط الشهوة لبرد المعدة او فرط احرا
او انصباب خلط حامض اليها وكون ذلك ليس بمحمود ظ وانما لم يقل انه ردي لانه قد لا يكون رديا
في المرض كالشبع الكائن في اوائل الحميات والجوع الكائن في اواخرها ويجب ان يعلم مع ما ذكرته

الفضا

انه كان كل واحد منهما اصعب كذا الانتقال من احدهما الى الاخر مضر ايضا ولكن ينبغي ان يكون
الانتقال دفعة ولذلك قال الشبع لا سوا اردا من شبع في الخصب يعقبه جوع والجدب وبالعكس
وانما قدم منها الشبع المتقدم على الجوع على ضده والجوع المتقدم على الشبع لوجهين احدهما ان فيه
[illegible] الاول على ما يسعر به اقل من الثاني لما كان انسب للحالة الطبيعية منه واقرب منها لان الحق
وثانيهما ان الشبع امر وجودي والجوع امر عدمي وتقديم الوجودي على العدمي واجب اولى ولما
عرفت ذلك فنقول الكائن من المتناول اما ان يكون من الطعام او من الشراب او منهما معا وكل
والعدم الثلثة مضر بالقوى والاعضا اما بالقوى من جهة ضعفها واما بالاعضا فمن جهة ثقلها
وضعفها والامتلا من الطعام اما ان يكون بعد جوع مفرط او لا يكون كذلك والثاني اما ان يعقبه جوع مفرط
او لا يكون كذلك والثاني اما ان يعقبه جوع مفرطا ولا يكون كذلك فهذه اقسام الامتلاء وكلها ردية و
ذلك لان الاول [illegible] ضعف القوى فاصلحه كانت الحرارة الغريزية بالنسبة اليه مقعقة
عن اصلاحه وحفظه فيستولي عليه الحرارة الغريبة ويفسد وربما حرارة الغريزية [illegible] كثيرة
كالحطب الكثير الذي يوضع على نار ضعيفة فانه قد يطفيها فلذلك كثيرا ما يمرض المنهوكين
كثرة الامتلاء واحد الامتلاء ما كان من الطعام لان الشراب للطافته يتحلل سريعا ولا يفعل
افعال الطعام واردا ما كان من الطعام ردي والاصلح من الجميع اردا من الامتلاء من الاغذية
اللحم اسرع استحالة الى الدم فيفعل فعله بسرعة ولرقته قوام المشي رب كان صبر الانسان على
العطش اقل من صبره على الجوع وصبره على استنشاق الهوا اقل من صبره على العطش وكان ذلك بحسب
قوام الشي المدد للبدن وكان ايضا الرجوع من ترك الغليظ اليه اصعب من الرجوع من ترك اللطيف
اليه ولذلك كان الرجوع من الشبع واعادة الاعضا المغتذية بالغذا الى ما كانت عليه اصعب
من اعادة رطوبة البدن اليه المشروب وذلك اصعب من اعادة الارواح الى اصلاحها بالهوا
المستنشق بعد فسادها وانحلالها الا ان عادة عوض ما هو بسبيل التحلل اسهل واخف على الطبيعة
من اعادة ما هو عسر التحلل لان الطبيعة تحتاج ان يكون قوتها عند عملها في الغليظ تحل وحياتها
[illegible] عملها في اللطيف ولذلك قال الاوحد افراط في ثاسة الفصول الابدان التي يهزل في زمان
طويل ينبغي ان يكون اعادتها بالغذية الى الخصب سهل في الابدان التي يهزل في زمن يسير وفي
زمن يسير بخصب واعلم ان الوجوه اربعة احدها ان المتحلل في الكائن في زمان يسير هو
الرطوبات الفرعية لطفه بالنسبة الى الاصلية [illegible] عوض المتحلل منها سهل ويحل [illegible] عوض
ما [illegible] من الرطوبات الاصلية وثانيها ان المتحلل في الكائن في زمان يسير رطوبة واحدة هي
الفرعية وفي الكائن في زمان طويل رطوبات هما الفرعية والاصلية ولا شك ان رد الموقوف